أسباب الإرهاب:الغلو والتطرف في ضوء الشريعة الاسلامية

The reasons of Terrorism, Exaggeration and Extremism in Islamic Perspective

د.صفي الله محمد وكيل [1]

Abstract:

Our true Islamic religion is a religion of mercy, justice and fairness, a religion that gives a significant concern to security, safety and stability, a religion that enjoins tolerance and peaceful coexistence with all kinds of human beings, irrespective of gender and sect, it is a religion of moderation, andit forbids exaggeration, extremism, terrorism Takfir, bombing, sabotage and corruption in societies, it is the innate religion that serves people's worldly and eschatological interests, each person is given his right according to the eternal rulings of Islam, which is beneficial and just / fair without differentiating between one race and the another, or between red and black except with piety, it is a religion that guarantees for all humanity in terms of security, safety, stability and goodness, it is good, beneficial, has guidance, and mercy for all human beings and believers, except for those who deviate from its just rulings and who go astray by unjustly exaggerating in religion and going beyond the path of believers and follow the approach of

[1] الاستاذالمساعد، الجامعة الإسلامية العالمية- إسلام آباد- باكستان

kharijities, exaggerators and extremists either out of ignorance of religion and its teachings or to the religion passion that led to the explosion/ bombing sabotage, destruction, and expropriation/ violation of Muslims blood, property and honor, with the believe that by this act he serves Islam and Muslims and applies the firm Law/ Shari'ah of Allah. He enjoins good, forbids evil, eliminates corruption in society, and supports Islam and Muslims in this way in his erroneous claim which spoils more than it corrects and spreads hared and envy among Muslims, and it opens the way for the enemies of religion who accuse Islam of reactionary, terrorism and corruption as a result of these criminal acts of sabotage from those extremists who have followed the path of kharijities and the extremists, among the terrorists who cause Takfir, bombing and corruption on earth, and thus they are serving the enemies of religion whether they know or not to achieve their malicious purposes in fighting Islam and Muslims by various different means.

Key Words:

Islamic, religion, religion, security, safety,

الحمد لله الذي جعلنا أمة وسطا ونهانا عن الجفاء والغلو والصلاة والسلام على الذي دعى أمته للهدى والنور والصراط المستقيم نبينا وحبيبنا وسيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه أجمعين،، أما بعد:

فإن ديننا الإسلامي الحنيف دين الفطرة التي فطر الله سبحانه وتعالى عليه الناس يخدم مصالح الناس الدنيوية والأخروية، ويعطي كل ذي حق حقه وفق أحكام الإسلام الخالدة النافعة العادلة

من غير أن يفرق بين جنس وآخر وبين أحمر وأسود إلا بالتقوى، وهو دين يكفل للبشرية الجمعاء الأمن والأمان والاستقرار والخير، فقال عز وجل: "**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**"(١). فهو خير ونفع وهدى ورحمة وبشرى للمؤمنين أجمعين إلا من خرج عن أحكامه العادلة وضل الطريق القويم بالغلو في الدين بغير حق وسلك غير سبيل المؤمنين ونهج منهج الخوارج والغلاة والمتشددين إما عن جهل بالدين أو التعالم والعاطفة الدينية التي أدت به إلى التكفير والتفسيق ومن ثم إلى التفجير والتخريب والدمار واستباحة دماء المسلمين وأملاكهم وأعراضهم مع اعتقاده بأنه بذلك يخدم الإسلام والمسلمين ويطبق شرع الله المتين، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي على الفساد في المجتمع وينصر الإسلام والمسلمين بذه الطريقة في زعمه الخاطئ الذي يفسد أكثر مما يصلح وينشر الكراهية والحقد والحسد والبغضاء بين المسلمين ويفتح الطريق أمام أعداء الدين الذين يتهمون الإسلام بالرجعية والإرهاب والفساد من أجل هذه الأعمال الإجرامية التخريبية من هؤلاء الغالين الذين نهجوا وسلكوا منهج الخوارج والغلاة والمتشددين والمتطرفين من الإرهابيين المتسببين بالتكفير والتفجير والفساد في الأرض، وهم بذلك يخدمون أعداء الدين من حيث يعلمون أو لا يعلمون وذلك في تحقيق مقاصدهم الخبيثة في محاربة الإسلام والمسلمين بالوسائل المختلفة المتعددة.

والحق أن ديننا الإسلامي الحنيف دين الرحمة والعدل والإنصاف دين يهتم بالأمن والأمان والاستقرار دين يأمر بالتسامح والتعايش السلمي مع جميع أصناف البشر أياً كان جنسه أو مذهبه فهو دين الوسطية والاعتدال وينهى عن الغلو والتشدد والتطرف والإفراط والإرهاب والتفكير والتفجير والتخريب والفساد في المجتمعات، والأمة الإسلامية التي تدين بهذا الدين أمة وسطية واعتدال متميزة عن سائر الأمم السابقة بهذه الصفة الربانية التي وصفها الله سبحانه وتعالى بها في قوله: "**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**". (سورة البقرة: ١٤٣). وعملاً بهذه الوسطية والاعتدال فإن الأمة الإسلامية متمثلة في علمائها وقادتها تهتم ببيان منهج الإسلام الوسطي المعتدل المتزن البعيد عن الغلو

والتطرف والتشدد والإفساد والإرهاب وذلك بالكتابات النافعة الناجعة المفيدة لعلاج هذه الظواهر الفتاكة التي تفتك بالأمة وتفرقها وتجعلها أمة متشتتة الأطراف.

وإن مما لا شك فيه أن الكتابة في مثل هذه الموضوعات وبيان ذلك للعامة والخاصة ولا سيما في العصر الحاضر، حيث إنه بسبب أفعال بعض المنتسبين إلى الإسلام قد ألصقت بعض التهم بالإسلام وهو منها براء، فإن نشر البحوث والكتابة فيها ذو أهمية بالغة لبيان سماحة الإسلام ويسره ووسطيته واعتداله وهو الضمان الأوكد على تحقيق الأمن والسلم والسلام والاستقرار ليس في العالم الإسلامي فقط بل في العالم أجمع.

وإسهامًا مني في نشر الوعي العام بخطورة هذه الأمراض الخطيرة في المجتمعات وخاصة في أوساط الطلاب وذلك إدراكاً منا لواجبنا تجاه قضايا الأمة الإسلامية بل والعالم أجمع، فقد اخترت أن أكتب البحث المختصر والذي هو بعنوان: **(من أسباب الإرهاب: الغلو والتطرف)** وهو موضوع في غاية الأهمية ولا بد من بيانه في الوقت الحاضر لما يعانيه أمتنا الإسلامية من ويلات الغلو والتطرف وأثر ذلك على أمننا واستقرارنا وتحقيق المصالح ودرء المفاسد، وبيان أن الشريعة الإسلامية شريعة خاتمة نزلت لتحقيق هذه المصالح ودرء المفاسد ومن أعظمها وأهمها الأمن والأمان والاستقرار في المجتمعات ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بالتمسك بها وبيان أحكامها ويسرها وسماحتها، وأن الإسلام دين الوسطية والاعتدال دين السماحة واليسر والتعاون على البر والتقوى والخير مع جميع الأمم والشعوب كائنا من كان، ولا يمت بأي صلة للغلو والتطرف والإرهاب والإفساد؛ ولذا فقد حث الإسلام على تحقيق الأمن والسلم بشكل عام في نصوص الكتاب والسنة والتي سيأتي في ثنايا هذا البحث ذكر جملة منها.. **وقد جعلت خطته في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.**

المقدمة: وتشتمل على أهمية هذا الموضوع.

المبحث الأول: في أهمية الأمن في الإسلام.

المبحث الثاني: من أسباب الإرهاب: الغلو والتطرف.

المبحث الثالث: علاج الغلو والتطرف. والخاتمة.

المبحث الأول: أهمية الأمن في الإسلام.

اهتم الإسلام بالأمن والأمان والاستقرار اهتماماً خاصاً، لأنه لا يمكن أن يعيش الإنسان في هذه الحياة الدنيا إلا بوجود هذه النعمة الكبرى التي لها علاقة وارتباط وثيق بقيام أمور الدين، وقد جاءت النصوص في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على اهمية الأمن وأن ذلك ضروري لإقامة حقوق الله سبحانه وتعالى وحماية حقوق العباد وخاصة الحقوق التي تتعلق بالأمن وبالمحافظة عليه.

ولذا نجد أن ديننا الإسلامي الحنيف يحث المسلمين بالتعايش السلمي حتى مع غيرهم من كان مخالفاً لنا في الدين من غير المحاربين وبإعطائهم الحقوق الكاملة التي تكفل لهم المعيشة بين ظهراني المسلمين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الإسلام يسعى إلى نشر الأمن العام والشامل لكافة الجوانب سواء كان ذلك اجتماعياً أو فكرياً أو اقتصادياً أو أخلاقياً وذلك باستخدام الوسائل المتاحة لتطبيقه لما للأمن من أهمية خاصة في المجتمعات للجماعات والأفراد، ولا يمكن لأي أمة أن تتقدم إلى الأمام إلا بوجوده وباعتباره سبباً رئيسياً في تحقيق النهضة الشاملة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، وقد ذكر لنا القرآن الكريم الأمن في معرض الامتنان على البشرية وقرن بين الأمن من الخوف والأمن الغذائي فقال الله سبحانه وتعالى: "الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُم مِنْ خَوْفٍ"[٢]. كما أكد على العلاقة القائمة بينهما بحيث ينعدم أحدهما بانعدام الآخر فقال عز من قائل: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ"[٣]. فلا يمكن أن يحصل الإنسان على الاطمئنان والاستقرار الداخلي إلا إذا حصل على الأمن من جميع جوانبه[٤].

وقد ذكر سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أهمية الأمن في الأحاديث الصحيحية وأن ذلك من حصول السعادة الدنيوية والأخروية وبسببه يحصل الإنسان على النعم الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى من أهمها العافية والصحة والسعادة والسعة في الرزق الحلال، وإذا كان الإنسان في هذه الحالة في الحياة الدنيا فليحمد الله تعالى عليها لحصوله على هذه النعم العظيمة بحيث لا يحتاج معها إلى أحد من البشر، فقال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: "من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا"[٥]. فإذا أصبح الإنسان آمنا في جميع حالاته وصحيحا سالما في بدنه من الأمراض الخطيرة التي تعيقه عن

التقدم وكان مع ذلك حاصلاً على الرزق الحلال الطيب، فكان هذا الشخص سعيداً في الدنيا والآخرة، وعليه أن يحمد الله سبحانه وتعالى حق حمده بأداء العبادة له وحده.

ولأجل هذه الأهمية البالغة للأمن في الإسلام وخاصة في وقتنا الحالي حيث انتشرت الجرائم بأنواعها المختلفة التي تسبب الزعزعة وعدم الاستقرار في المجتمعات مع تأثر شبابنا بالتيارات الضالة التي تدعو إلى التشدد والإرهاب والغلو عبر الوسائل المتعددة مع انتشار التقنية الحديثة التي بسببها أصبح العالم قرية صغيرة مما جعلنا نشعر بنشر الوعي العام في أوساط هؤلاء الشباب وخطورة ذلك على الأمن في المجتمعات.

وقد بين علماؤنا عظم شأن الأمن حيث اعتبرواه من أكبر مقاصد الشريعة الإسلامية التي بها قوام حياة الناس في الدنيا وأن الله سبحانه وتعالى قد خلق الخلق لتحقيق هذه المقاصد، وهو حفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، وكل وسيلة تؤدي إلى حفظ هذه المقاصد تعتبر مصلحة يجب الأخ بها، وكل ما يفوت هذه المقاصد فهي مفسدة يجب الاجتناب عنها(٦).

فهذه النصوص من الكتاب العزيز ومن السنة الشريفة الصحيحة ومن كلام العلماء رحمة الله عليهم يؤكد على أهمية الأمن وأن حصوله ضروري لحفظ الضروريات الخمس والمقاصد الكبرى في الشريعة الإسلامية؛ لأن بفقده نفقد هذه المقاصد والضروريات الخمس، ويعم الفساد في الأرض وتعطل المصالح، وينشر السرقة والنهب والسلب والفوضى والدمار والخراب في المجتمع(٧).

المبحث الثاني: من أسباب الإرهاب: الغلو والتطرف.

جاء الإسلام بمنع كل طريق وبقطع كل سبب يؤدي إلى زعزعة الأمن والأمان في المجتمعات الإسلامية سواء كان ذلك مرتبطاً بالأفراد أو الجماعات أو الأحزاب والتيارات، ومما أدى إلى الفوضى والدمار والخراب في عالمنا المعاصر هو الإرهاب الذي انتشر عبر الوسائل المختلفة في جميع العالم وأثر ذلك سلباً على العلاقات العامة والخاصة بين الدول المتعددة، وبسبب هذا المرض الفتاك التصق بالإسلام والمسلمين من قبل أعدائهم شتى التهم الباطلة، وكان وراء انتشار هذا الوباء في المجتمعات أسباب كثيرة من أهمها الغلو والتطرف، ولبيان وتوضيح ذلك ينبغي لنا أولاً أن نعرف هذين المصطلحين وما ورد فيهما من الآيات والأحاديث، ثم نعرج على أنهما سبب مهم من أسباب الإرهاب، فنقول:

الغلو في اللغة العربية لفظه مشتق من: غلا إذا زاد وارتفع، وجاوز الحد، وبهذا المعنى جاء في كلام ربنا الكريم حيث قال :"**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ**"(٨). وكذلك ورد في كلام سيدنا الحبيب صلى الله عليه وسلم حيث قال: "**إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في دينهم**"(٩).

والذي يظهر من هذا هو أن الغلو الوارد في النصوص الشرعية معناه هو: مجاوزة الحد الذي هو النص الشرعي الصحيح الوارد على فهم سلف هذه الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الذين شهدوا التنزيل، وعلموا التأويل وفهموا مقاصد الشريعة الإسلامية وغاياتها، وكذا من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين من الأئمة والتابعين والعلماء الشرعيين الراسخين في العلم(١٠).

وهذا الغلو من الممكن أن يقع في الاعتقاد كما صدر عن النصارى في حق عيسى عليه السلام، وكذلك منها الغلو في بعض الصالحين من الأئمة من بعض معتقديهم، وغلو الصوفية في الأولياء، وغلو الخوارج في تكفير أهل الإسلام بكبائر الذنوب.

وهذا الغلو الذي يتعلق بكليات الشريعة الإسلامية وخطره شديد من الغلو في العمل، وبدأ هذا الغلو في زمن النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال فيه: "إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْما يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ"(١١).

كما يمكن أن يقع الغلو في العمل وذلك فيما يتعلق بالأمور العملية من قول أو فعل، كما يقع من بعض الحجاج حيث يغالون في غسل الجمار ورمي الجمار بالأحجار الكبيرة أو أن تقع زيادة في بعض العبادات كمن يصوم متواصلا أو يتعبد الله ولا يتزوج وغير ذلك مما يقع فيه كثير من المسلمين إما جهلاً أو تقليداً لآبائهم وأئمتهم في كثير من الأحيان(١٢).

وهذا الغلو يتعلق بجزئيات الشريعة الإسلامية العملية، وقد وقع أيضا في زمن النبوة كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم

وقد غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال: " إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني!" (١٣).

ووفقاً لهذه النصوص الشرعية من القرآن الكريم والأحاديث النبوية يمكننا أن نقول بأن الغلو: هو مجاوزة الحد وقد تكون هذه المجاوزة في العقيدة أو المنهج أو السلوك أو العبادة.

وأما التطرف وما تحتويها هذه اللفظة من المفاهيم والممارسات التي دخلت على الإسلام وهو بريئ منها؛ لأنه حاربها من زمن النبي صلى الله عليه وسلم وإلى وقتنا المعاصر، وهي ظاهرة التصقت بالإسلام كسابقتها من الغلو ظلماً وعدواناً وذلك بسبب أفعال بعض المنتسبين إلي الإسلام.

والتطرف في اللغة العربية: هو تفعّل بتشديد العين من طرف يطرف طَرْفاً. قال ابن فارس: (الطاء والراء والفاء أصلان، فالأول يدل على حد شيء وحرفه، والثاني: يدل على حركة في بعض الأعضاء)(١٤).

والطرف: الناحية، والجمع أطراف، والطرف كذلك: طائفة من الشيء، يقال: تطرف: أي أتى الطرف، وتطرف في كذا: جاوز حد الاعتدال فيه(١٥).

التطرف في الاصطلاح: تنوعت عبارات العلماء والمختصين في تعريف التطرف في الاصطلاح الشرعي، وعند المراجعة يظهر أن هذه التعريفات كلها متفقة من حيث الجملة على المعنى العام للتطرف الذي هو الخروج عن الاعتدال والوسطية والاتزان إلى الغلو في الشيء أو الجفاء فيه، ومن هذه التعريفات على سبيل المثال:

من العلماء من عرف التطرف بقوله: "عدم الاعتدال بغلو أو جفاء"(١٦). وهذا التعريف متوافق مع المعنى اللغوي للتطرف، إذ هو لغةً الميل عن الوسط إلى أحد طرفيه(١٧)، وذلك أن الناس

ومنذ أول الخليقة وإلى يومنا هذا فيهم المتطرف، وفيهم الغالي، وفيهم الوسط، وهذا خير الأقسام؛ لأن المتطرف من هنا أو هناك ينظر إلى الأمور من زاوية واحدة، فيفوته القيام بالقسط الذي هو العدل(١٨).

ولكن هذا غير مقصود عند عامة من يطلقونه، بل المراد عندهم الميل إلى جانب الغلو دون الجفاء، وبالبحث في النصوص والمراجع الشرعية نجد أن هذا المعنى يطلق عليه مصطلح الغلو.

ولفظ التطرف: مصطلح محدث ليس من الألفاظ الشرعية، ولذا لم يستعمل العلماء القدامى هذا اللفظ في مصطلحاتهم العلمية وفي محاوراتهم وفي تأليفاتهم إلا نادراً، ونجد أن هذه اللفظة استعملت كثيرة عند المتأخرين وخاصة العلماء والمختصين الذين يعنون بالدراسات في الجماعات والأحزاب والمذاهب المعاصرة نظراً لحدوث هذه الظاهرة في المجتمعات المختلفة، ومع أنه لا مانع من مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة.

إلا أنه ينبغي الحذر أن يستعمل هذا اللفظ ـ كما هو الحال في غالب الأحوال ـ استعمالا غير موافق أو متوافق مع مراد الشارع.

وعلى هذا يمكننا أن نقول في تعريف التطرف بأنه عبارة عن مجاوزة حد الاعتدال، وكذلك يطلق على الغلو أيضاً، ولا ينحصر التطرف بالمعنى العام في التطرف الديني ولا بالتفجير والإرهاب والعنف والتشدد، بل قد يكون التعصب للجماعة أو قول أحد أو لمذهب معين أو لحزب فلاني أو القومية أو الجنس والعرق كل ذلك يعد من التطرف(١٩).

المبحث الثالث: علاج الغلو والتطرف.

الغلو والتطرف لهما أسباب كثيرة ومتعددة ويرجع ذلك إلى العوامل المختلفة الدينية والسياسية والأسرية والاجتماعية والأخلاقية والتربوية، وإذا أمعنا النظر في الأسباب الدينية لوجدنا أن الشخص الذي يكون جاهلاً بأحكام الإسلام الصحيحة العادلة أو لا يستطيع أن يفهم هذه

الأحكام فهماً صحيحاً، أو يجاهد في تأويلها حسب هواه ومبتغاه فيكون عنده من الغلو والتطرف حسب ذلك.

كما يمكن أن تكون أسباب ذلك اقتصادية من حيث الفقر والبطالة وعدم انشغال الشباب بالوظائف المناسبة التي تشغلهم عن ذلك فيكون فريسة سهلة في يد المتطرفين والغلاة المستغلين لهم فيؤثر هذا كله على ثقافتهم وأفكارهم ومعتقداتهم، ونتيجة ذلك نجد أن وراء هذا المرض الفتاك جماعات وأحزاب وأفراد يريدون الوصول إلى مآربهم الخبيثة في نشر الإرهاب في المجتمعات(٢٠).

ولذا يجب معالجة هذه الظاهرة بمنع أسبابها وذلك بأن يتحمل كل شخص مسؤوليته وكل في مجاله وتخصصه وخاصة القادة والعلماء والرواد كما الأسرة والحكومة ويكون تركيزهم في منع هذه الأسباب أولاً قبل الوقوع في الغلو والتطرف، وبعلاج من وقع فيه من الشباب وذلك بانشغالهم وملء فراغهم وأوقاتهم بما يكون نافعاً مفيداً بإقامة المؤتمرات والندوات وورش العمل وبيان أن الإسلام برئ من الغلو والتطرف والتشدد وينبذ ذلك بشدة وفق أحكامه وتعاليمه العادلة التي تدعو إلى السماحة واليسر والاستقامة والوسطية والعدل والتعايش السلمي وتحقيق الأمن والأمان والاستقرار، ويسعى دائماً إلى إصلاح المسلمين ويؤكد على الاتحاد والاتفاق ويحذر من التكفير والتفجير والتخريب والقتل والتدمير والإيذاء والخروج على إمام المسلمين.

ولا شك أن الغلو والتطرف يعتبر من التحديات التي تواجهها الأمة الإسلامية ومواجهة أي تحد لا بد أن يكون ذلك من قبل الدعاة المخلصين وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية الصافية الخالية من التشدد والغلو والتطرف والإرهاب والتعصب؛ لأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم أمة دعوة ورسالة كما أخبر بذلك الله سبحانه وتعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وتؤمنون بالله"(٢١). ولذا لا بد لهذه الأمة حتى تحقق خيريتها من الاجتهاد في الذب عن هذه الأمة تهمة الغلو والتطرف، وأن يقوم طائفة من العلماء والدعاة

بالتصدي لهذه المهمة العظيمة امتثالاً لأمر الله تعالى: "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ"(٢٢).

وبنشر الدعوة الرشيدة المعتدلة القائمة على الوسطية والاعتدال، ينقطع داء الغلو والتطرف ويتبين ذلك واضحاً وجلياً ببيان الأمور التالية:

الأمر الأول: إذا عدمت الدعوة إلى الوسطية والاعتدال في الأمة ظهر الغلو والتطرف وانحرف الشباب عن الجادة والصراط المستقيم، فلذا لا بد من نشر الدعوة إلى الله على الحكمة والبصيرة والدليل، فإذا قام العلماء والدعاة بذلك قطعوا الطريق أمام الغلاة والمنحرفين والمتشددين والمتطرفين.

الأمر الثاني: نجد في كثير من البلدان الإسلامية قيام بعض الدعاة بعملهم الدعوي مخالفاً لأصول الشريعة الإسلامية الغراء السمحة مما أعطى للمخالفين فرصة نشر منهجهم من الغلو والتطرف، فلا بد من قطع هذا الطريق عليهم وذلك من بانتهاج المنهج الحق الذي يدعو إلى نشر رسالة الإسلام الصحيحة المستمدة من الكتاب والسنة بفهم سلف هذه الأمة.

الأمر الثالث: إن من أسباب الغلو والتطرف أسباباً ستنتهي أو يضعف وجودها مع انتشار الدعوة الإسلامية الصحيحة على ضوء سيرة نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وبالتالي سوف نقطع الطريق أمام انتشار هذا المرض الفتاك الذي وجدنا آثاره المدمرة في كثير من البلدان الإسلامية.

الأمر الرابع: ملئ فراغ الشاب الذين عندهم الرغبة الشديدة في الدعوة إلى الله تعالى بالأعمال المفيدة النافعة التي تنازع الانحرافات الفكرية من الغلو والتطرف، وهذا ما يوسع الطريق ويعطي الحق للدعاة المخلصين في مواجهة التحديات التي تعرقل سبيل دعوتهم إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

وبناءً على هذه الأمور فإننا نستطيع أن نقول بأن مواجهة هذه التحديات المتعلقة بالغلو والتطرف لها وسائل متعددة والتي يجب على الدعاة المخلصين الاهتمام والعمل بها، ومن أهم هذه الوسائل ما يأتي:

أولاً: على العلماء والقادة والدعاة أن يعتنوا بدراسة وبيان سيرة سيد المرسلين وإمام المتقين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وذلك في العمل والقول وفي جميع التصرفات، وأن يستفيدوا من هذه السيرة العطرة في واقعهم العملي ليقتدي بهم هؤلاء الشباب، فيجب تربية الشباب على هذا المنهج القويم والصراط المستقيم حتى يسلموا وينجو بإذن الله من التيارات الضالة والمناهج الفاسدة فيصلحوا، وينفع الله بهم دينهم وأوطانهم ومجتمعاتهم وأمتهم.

ثانياً: الموعظة والنصيحة التي تعتبران من أهم حقوق المسلم على المسلم، كما أخبر جاء جاء في حديث جرير البجلي رضي الله عنه حيث قال: "بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم"[٢٣]. وأول من يخاطب بالمناصحة لمن وقع في الغلو والتطرف: المتصلون بالواقع في الغلو والتطرف العارفون بحاله، من أهل وجيران وإمام مسجد، وزميل دراسة وأستاذ ونحوهم، فهؤلاء أعرف بأحوال المرء، وأقدر على موعظته وتخويفه بالله، وبذل النصح له، ومما لا شك فيه أن المناصحة سبيل من سبل المعالجة الناجحة النافعة الناجعة المفيدة لمنع نشر الغلو والتطرف.

ثالثاً: عدم التعصب لقول أحد كائناً من كان، وهذا الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى به حيث قال عز وجل: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون"[٢٤]. أمر الله تعالى عباده بطاعته وطاعته رسوله صلى الله عليه وسلم فقط فدل ذلك على عدم التعصب لقول أحد، ويجب الاهتمام في هذا الموضوع على الشباب الذين عندهم حماس شديد في الإصرار على آرائهم أو آراء العلماء الذين يرونهم قدوة لهم ويزعمون بأن الصواب في أقوالهم دون غيرهم من العلماء الربانيين المعروفين بالاستقامة والعدل والأمانة في الأمة الإسلامية، وهذا من أهم الأشياء التي تؤدي إلى الغلو والتطرف في فئة الشباب الذي نحتاج إلى مواجهته وحلوله

وذلك ببيان بأن الواجب عدم التعصب بل لا بد من التوضيح والنظر الصحيح في أقوال هؤلاء العلماء المعروفين في الأمة بالوسطية والاعتدال.

رابعاً: الحوار النافع المفيد لمن وقع في هذا المرض الفتاك من أهل الانحراف والغلو التطرف، فالمحاورة تعتبر من أنجع السبل لكشف شبهات هؤلاء الغلاة والمتطرفين وأهل الزيغ، وطريقة الحوار المفيدة معروفة في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وفي سيرة الصحابة رضي الله عنهم وفي حياة العلماء والفقهاء السابقين رحمهم الله، وإذا نظرنا بعين الاعتبار إلى انتشار الغلو والتطرف في الأمة في وقتنا الحاضر، لعرفنا بأن الحوار من أهم الأمور التي يمكن أن نعالج به هذا المرض، وذلك لما يأتي:

١- أن بالحوار نستطيع أن نكشف عن الشبهات التي تثيرها ممن وقع في الغلو والتطرف، فالمحاورة معهم يكشف لنا هذه الشبهات حتى نبينها للناس عامة لكي لا يتأثر بهم غيرهم فيقعون فيما وقعوا فيه من الغلو والتطرف.

٢- أن الحوار يعتبر أحد أهم الأسباب التي تحقق لنا بأن الذين وقعوا في الغلو والتطرف كان السبب الرئيسي لهم هو الجهل وعدم العلم، فبالحوار نكشف جهل هؤلاء ونبين لهم خطأ طريقهم.

٣- أن من كتب في هذه المشكلة من الكتاب والمعنيين وممن درسوا هذا الموضوع في كتاباتهم ودراساتهم خلطوا بين من يلتزم بأحكام ديننا الحنيف العادلة وبين من يغلو فيها حيث أدخلت من قبل هؤلاء الكتاب في مثل هذه المسائل القضايات التي اعتبرها العلماء من قبيل المسائل التي يسوغ فيها الخلاف بين العلماء، وبالحوار يمكن معالجة هذه المشكلة[٢٥].

خامساً: أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بأن يكون منهم من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقال عز وجل: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

وأولئك هم المفلحون"[٢٦]. ويمكن معالجة مرض الغلو والتطرف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك من عدة وجوه:

الأول: من المعلوم أن الغلو والتطرف يعتبر من المنكرات التي يجب على العلماء إنكاره على من كان متصفاً به ولا بد من أن يراعوا في إنكار هذا المنكر الضوابط والشروط التي بينها العلماء لبيان المنكر.

الثاني: من المعروف أن وجود الغلاة والمتطرفين في المجتمعات من أهم أسباب ذلك ردة الفعل من قبلهم نحو الذنوب والمعاصي التي تقع من عامة الناس في هذه المجتمعات وذلك ظناً منهم أن من الغيرة إنكار هذا المنكر وبالتالي يقعون في الغلو عندما يحكمون على الناس بطرق لم تأت بها الشريعة الإسلامية فيؤدي ذلك الاختلافات والشقاق، فإذا قام العلماء والدعاة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متمسكين في ذلك بضوابط الشرع في إنكار المنكر، فكان ذلك علاجاً نافعاً مفيداً في نهي الناس عن المعاصي والذنوب والمنكرات.

الثالث: إن الغلاة والمتطرفين الذين ينكرون المنكرات ويحكمون على من وقع فيها بالأحكام الشديدة المخالفة لشرع الله القويم، يبررون أعمالهم هذه بأن الحكام والدعاة والعلماء لم يقومون بواجبهم تجاه هذه المنكرات بإنكارها وبمنع الناس عنها فظنوا أن من الواجب عليهم القيام بذلك فوقعوا في الضلالات، والقيام بهذه المهمة الضرورية من قبل الدعاة المخلصين المتسمين بمنهج الوسطية والاعتدال سوف يقطع الطريق على الغالين.

سادساً: إن التزام سماحة الإسلام ويسره وعدالته ووسطيته والبعد عن الغلو والتشدد والإفراط والإرهاب والفساد والتخريب والتكفير والتفجير كل ذلك يؤدي إلى انقطاع سبل الغلاة والمتطرفين، وقد جاءت النصوص الكثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة تبين هذا المنهج الحق العدل، وهو أن ديننا الإسلامي دين الفطرة يتوافق مع طبيعة البشر التي تدعو إلى اليسر والسماحة في التعامل مع الناس، ومن الطبيعي أن النفوس مجبولة بحب السهل وبالنفرة عن التشدد والعنف والغلو والتطرف[٢٧].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،، أما بعد:

فإن الإسلام دين عالمي يحقق السعادة للبشرية الجمعاء وهو برئ من الغلو والتطرف، ولا يمكن أن يتصف الإسلام بالإرهاب وهو ينبذ ذلك بالأصو والقواعد الراسخة العادلة المستمدة من كتاب الله العزيز وسيرة المصطفى محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ولذا نجد لذلك أثراً فعالاً في مقابل التحديات المختلفة التي تواجهها هذه الأمة ومن أهم هذه التحديات وخاصة في هذا الزمن انتشار الغلو والتطرف والانحراف الفكري لدى كثير من المسلمين مما أدى ذلك إلى عرقلة الدعوة الإسلامية وكانت عقبة لنشرها في المجتمعات المختلفة، ولأجل مواجهة هذه المعضلة من قبل الدعاة المخلصين لا بد من التزام منهج الإسلام الوسطي المعتدل الذي يأمر بالحسنى والموعظة الحسنة وبالحوار الهادف البناء المراعي فيه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في مواجهة المخالف، ومن هنا كان لزاماً على العلماء والدعاة أن يختاروا الوسائل الناجعة المفيدة لردع الغلاة والمتطرفين ومواجهتهم والرد على شبهاتهم التي تمسكوا بها في مقابل الدعوة الإسلامية، وأن يستعملوا الحكمة المطلوبة باستخدام التخطيط المناسب والهدوء والسكينة والتبصر وقراء العواقب باللطف والرفق والشفقة، وأن يطلعوا على أحوال المدعويين من جميع جوانبها وأن يدرسوا الطرق المؤدية والأسباب التي من أجلها وقعوا في الغلو والتطرف.

والله تعالى أعلم،، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع والمصادر؛

(١) سورة النحل، الآية (٨٩).
(٢) سورة قريش الآية (٤).
(٣) سورة النحل الآية (١١٢).

(٤) انظر: محمد الطاهر ابن عاشور في التحرير والتنوير ٢٤٦/١٣. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، التأليف/ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ، الناشر/ الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر/ ١٩٨٤م.

(٥) أخرج هذا الحديث الإمام الترمذي في سننه، ٥٧٤/٤ حديث رقم (٢٣٤٦). سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الناشر/ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م. وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٠٤٢). صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر/ المكتب الإسلامي.

(٦) انظر: أبو حامد الغزالي ص ١٧٤. المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق/ محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر/ دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م. والشاطبي الموافقات ٣٨/١، و ٧/٢. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، المحقق/ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر/ دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٧) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر/ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ص ١٤٥.

(٨) سورة النساء، الآية: ١٧١.

(٩) أخرجه الإمام أحمد في مسنده :٢١٥/١، مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله المتوفى سنة: ٢٤١هـ المطبعة الميمنية.

(١٠) انظر: الدكتور/ طارق محمد الطواري في بحثه بعنوان: (التطرف والغلو الأسباب ـ المظاهر ـ العلاج) /٤/٢٠٠٥م ـ١٤٢٦هـ الكويت.

(١١) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٥٢/٨) كتاب استتابة المرتدين: باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ، والإمام مسلم في صحيحه (٧٤٠/١) برقم: (١٠٦٣) كتاب الزكاة: باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(١٢) انظر: الأستاذ الدكتور/ أحمد بن يوسف الدريويش في كتابه: التطرف الديني ـ تعريفه، وأسبابه ومؤثراته، وعلاجه. الناشر/ معهد إقبال الدولي للدراسات والبحوث، التابع للجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد.

(١٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه (١١٦/٦) كتاب النكاح: باب الترغيب في النكاح، والإمام مسلم في صحيحه (١٠٢٠/٢) رقم (١٤٠١) كتاب النكاح: باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه.

(١٤) ابن فارس معجم مقاييس اللغة ٩٠/٢. أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين، المحقق/ عبد السلام هارون، الناشر/ دار الفكر. سنة النشر/١٩٧٩م.

(١٥) انظر: الفيومي المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ص١٤٠، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، الناشر/ دار المعارف. وابن منظور لسان العرب ١٤٦/٨، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الإفريقي. الناشر/ المملكة العربية السعودية.

(١٦) راجع في ذلك ما قاله سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة. الناشر/ المملكة العربية السعودية، دار الإفتاء.

(١٧) انظر: الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

(١٨) نقلاً عن الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، ينظر، كتاب (العنف في العمل الإسلامي المعاصر –النشأة والأسباب/٢١).

(١٩) انظر: الأستاذ الدكتور/ أحمد بن يوسف الدريويش في كتابه: التطرف الديني وأسبابه وعلاجه.. المرجع السابق.

(٢٠) انظر: الدكتور/ طارق الطواري ص١٠. المرجع السابق.

(٢١) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

(٢٢) سورة آل عمران، الآية (١٠٤).

(٢٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه (٢٠/١)، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة لله ولرسوله، و الإمام مسلم في صحيحه (٧٥/١) برقم (٥٦) كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.

(٢٤) سورة الأنفال، الآية (٢٠).

(٢٥) انظر: أحمد عبد الرحمن الصويان الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، دار الوطن، سنة النشر/١٤١٣هـ. ويحيى محمد حسن زمزمي الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، دار التربية والتراث، سنة النشر/١٩٩٤م.

(٢٦) سورة آل عمران، الآية (١٠٤).

(٢٧) انظر: محمد الطاهر بن عاشور في كتابه: مقاصد الشريعة الإسلامية ص٦١. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ). التحقيق/ محمد حبيب بن خوجة، الناشر/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، سنة النشر/ ٢٠٠٤م.